جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة1
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

اسم الأستاذ(ة): ليندة خراب
المقياس: السرديات العربية الحديثة والمعاصرة
السنة:الثالثة
التخصص:أدب عربي
النوع: تطبيق
الفوج: 1-5-6

الأعمال الموجّهة في مقياس السرديات العربية الحديثة والمعاصرة

إعداد الدكتورة :ليندة خراب

عنوان الحصة التطبيقية الأولى: روايات جرجي زيدان التاريخية

قامت الرواية التاريخية منذ منتصف القرن التاسع عشر على استلهام حوادث التاريخ وصبّها في قالب سردي مشوّق ، يبّسط المادة التاريخية ويجعلها قريبة التناول من القراء، وقد كانت روايات جرجي زيدان أنموذجا تأسيسيا للرواية التاريخية في أدبنا العربي .

عكف جرجي زيدان على كتابة الرواية التاريخية فترة طويلة امتدت من أواخر القرن التاسع عشر إلى العقد الأول من القرن العشرين ، فقد كتب في غضون ثلاثٍ وعشرين سنة ثلاثا وعشرين رواية، أوّلها روايته " المملوك الشارد سنة 1891. وأسير المتمهدي سنة

1892،وعذراء قريش 1899، والحجاج بن يوسف سنة 1902، وفتح الأندلس سنة 1903 ،وآخرها رواية "شجرة الدر" 1914.

أرخّت روايات جرجي زيدان التاريخية للتاريخ العربي والإسلامي، بدءا من العصر الجاهلي ، فالانقلاب العثماني إلى تاريخ مصر الحديث ، فقد خصّص جرجي زيدان ست عشرة رواية لتاريخ الإسلام، ورواية واحدة لفترة الحكم العثماني وأربع روايات لتاريخ مصر الحديث.

عمل جرجي زيدان على : " تفريغ التاريخ العربي الإسلامي من مظانه الكبرى والمعقدة وتقديمه مبسّطا ممتاليا, ومن أجل شدّ الانتباه كان يختلق قصة حبّ، أو ينتزع من ذلك التاريخ حكاية ليجعلها الوسيلة التي بها يستكشف الوقائع التاريخية."

تحرّى جرجي زيدان في رواياته التاريخية المنهج التاريخي، الذي يعلن عن نفسه في العتبات النصيّة، إذ يبدأ بذكر العنوان فالتصدير ، ثمّ يأتي على ذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها في كلّ رواية.

في رواية "فتح الأندلس" يوقّع جرجي زيدان الرواية بهذا التصدير :(فتح الأندلس أو طارق بن زياد رواية تاريخية تتضمن تاريخ إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي ووصف أحوالها، وفتحها على يد طارق بن زياد، ومقتل رودريك ملك القوط) .ثمّ يُتبع العنوان والتصدير بذكر أبطال الرواية وتعريفهم .

يثبت جرجي زيدان المراجع التي اعتمدها في كتابة هذه الرواية التاريخية؛ فثمة مراجع هي من تأليف جرجي زيدان نفسه مثل كتاب: " علم الفراسة الحديث" وكتابه" تاريخ التمدن الإسلامي" وكتابه : تاريخ آداب اللغة العربية" ، كما يأخذ جرجي زيدان مادته التاريخية من مصادر أخرى، ففي روايته "شجرة الدر" يعود إلى كتاب" حسن "المحاضرة" للسيوطي وكتاب تاريخ ابن إياس ومعجم ياقوت الحموي.

فتح الأندلس

أو

طارق بن زياد

رواية تاريخية تتضمن تاريخ اسبانيا قبيل الفتح الاسلامي، ووصف احوالها، وفتحها على يد طارق بن زياد، ومقتل رودريك ملك القوط

تاليف

جرجي زيدان

دار الهلال

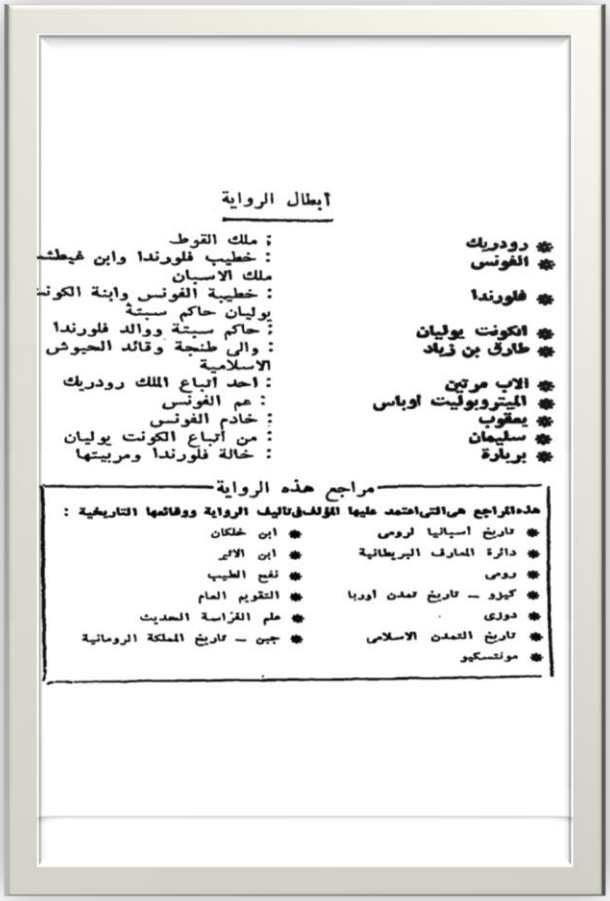

أبطال الرواية

* رودريك : ملك القوط
* الفونس : خطيب فلورندا وابن غيطشه ملك الاسبان
* فلورندا : خطيبة الفونس وابنة الكونت يوليان حاكم سبتة
* الكونت يوليان : حاكم سبتة ووالد فلورندا
* طارق بن زياد : والي طنجة وقائد الجيوش الاسلامية
* الاب مرتين : احد أتباع الملك رودريك
* الميتروبوليت اوباس : عم الفونس
* يعقوب : خادم الفونس
* سليمان : من أتباع الكونت يوليان
* بريارة : خالة فلورندا ومربيتها

مراجع هذه الرواية

هذه المراجع هي التي اعتمد عليها المؤلف في تاليف الرواية ووقائعها التاريخية :

* تاريخ اسبانيا لروس
* دائرة المعارف البريطانية
* روس
* كيرو – تاريخ تمدن أوربا
* دوزي
* تاريخ التمدن الاسلامي
* مونتسكيو
* ابن خلكان
* ابن الاثير
* نفح الطيب
* التقويم العام
* علم الفراسة الحديث
* جبن – تاريخ المملكة الرومانية

خصائص روايات جرجي زيدان التاريخية:

لروايات جرجي زيدان التاريخية، خصائص بنيوية ودلالية تُعرف بها، فقد كانت وظيفتها نشر التاريخ بأسلوب الرواية، "وذلك ما جعل الرواية في خدمة التاريخ لا التاريخ في خدمة الرواية" ، فقد ضحى

جرجي زيدان بالتخييل الروائي وبالوظيفة الجمالية حين أبقى على الحوادث التاريخية ، مثلما يزعم ، على حالها ، وقام بتركيبها على قصة غرامية، فانشطرت البنية السردية إلى قصتين: تاريخية ، هي الأصل وقصة عاطفية تظل في علاقة تبعية مع القصة الأولى.

أسفرت هذه الطريقة في تركيب القصة الغرامية على القصة التاريخية عن بناء قصصي موّحد ونمطي ومشترك بين جميع روايات جرجي زيدان التاريخية، حتى لتبدو هذه الرويات متشابهة ، يعمد خلالها المؤلف إلى خلق شخصيات خيالية تمثل دور " الحبيبين" ثمّ يجمع بينها وبين الشخصيات التاريخية في سياق مغامرة واحدة، أو يقوم بإسناد دور الحبيبين للشخصيات التاريخية نفسها، كما لا يغفل المؤلف عن تحديد الإطار الزماني والمكاني للقصتين، التاريخية والغرامية وحين تطّرد الأحداث وتنمو وتتعقّد بفعل احتدام الصراع على السلطة والنفوذ والحبّ ، تنتهي الرواية غالبا بانتصار رمزي للحبّ وزواج الحبيبين، ولعلّ تمسك جرجي زيدان بهذا الخطّ النسق الدائري للسرد يعود إلى تأثره بالرواية التاريخية الغربية، ومنها روايات ألكسندر ديماس Alexandre Dumas بخاصة روايته الكونت دي مونتي كريستو" وروايات دوستويفسكي Tyodor Dostoïevski وعلى رأسها روايته الإخوة كرامازوف" والجريمة والعقاب". غير أنّ الرواية الغربية وإن كانت تقوم على تيمة الحبّ والمغامرة ، إلا أنّها لم تكن تلتزم حرفية

الوقائع التاريخية، بل اتخذتها مطية للتخييل ، بينما جُعلت الرواية مطيّة للتاريخ بين ظهراني جرجي زيدان.

يظهر في روايات جرجي زيدان التاريخية تدخل المؤلف في سرده ،يقول المؤلف في رواية "الانقلاب العثماني" : " لنتركهم يفتشون عن شيرين ولنذهب إلى رامز لنرى ماذا حدث له " وبعد صفحتين يعود المؤلف للتدخل في سرده قائلا: "نترك أهل سيلانيك ونذهب إلى الأستانة دار الخلافة و مصدر متاعب الأحرار ومرجع آمالهم".

وفي رواية " صلاح الدين الأيوبي" يتدخل المؤلف قائلا : "تركنا الخليفة العاضد في قاعة الذهب ، بعد خروج نجم الدين وابنه، ولم يبق معه إلا أبو الحسن. فلمّا خرج الكرديان أمر الحاجب أن يأتي بصاحب اللّباس لينزع عنه ثيابه وحُلاه لأنّه في حاجة إلى الراحة، وألاّ يأذن لأحد في الدخول. ومثله قول المؤلف: " قد علمتَ من حديث العاضد وأخته أنّ صلاح الدين بعث يخطب سيدة الملك شفاها ، وسبب ذلك أنّ عيسى الهكاري لما خرج من دار العلم سار توا إلى صلاح الدين وأسرع في مقابلته على انفراد في خُلْوَةٍ وتطرق في الحديث إلى خطبة أخت الخليفة وأقنعه بما تقدم من الأدلة السياسية "

عُني جرجي زيدان بوصف الكنائس وذكر الرهبان والصُلبان والبطارقة، و يُقحم شروحات عن تعاليم الدين المسيحي إقحاما، لا تحتمله الحبكة السردية، وتلك سمة واضحة في رواية " أرمانوسة

المصرية مثلا : " ومما ورد في سياق ذلك:" أطلب من الله بكرامة العذراء مريم صاحبة هذا الدير أن يسقط في أيديهم ويخرجوا من هذه البلاد على أعقابهم"

تعج روايات جرجي زيدان بوصف القصور والجواري والغلمان والعمران والخيل والحُلي ، مثل ذلك ما جاء في رواية " صلاح الدين الأيوبي": هل ترى فرس الخليفة ؟ تأمّلها جيّدا إنّ سِرْجَها من الديباج الأحمر مصوغ بالذهب (ومنزل فيه الميناء) .. ولو تأمّلت مُقَدَّمَ السرج لرأيت عليه أحجارا كريمة. وفي عنق الفرس قلائد الذهب، ولو استطعت النظر إلى قوائم الفرس لرأيت حولها الخلاخل من الذهب، ويقدرون كلّ فرس بما عليها من العدة بألف دينار ، وأفراس الوزراء والأمراء أيضا في مثل هذا الترتيب هي كلّها في الأصل هدية من الخليفة يهبها لأمرائه في الأعياد."

المصادر والمراجع:

-جرجي زيدان،روايات تاريخ الإسلام، صلاح الدين الأيوبي،دار الجيل بيروت،لبنان،ط2، د.ت.

- جرجي زيدان،روايات تاريخ الإسلام، فتح الأندلس أو طارق بن زياد،دار الهلال،د.ط، 1984.

- جرجي زيدان،روايات تاريخ الإسلام، أرمانوسة المصرية،دار الجيل بيروت،لبنان،د.ت.

- جرجي زيدان،روايات تاريخ الإسلام، الانقلاب العثماني،دار الهلال،د.ط،د.ت.

- الرواية وتأويل التاريخ،فيصل دراج،ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004.

- التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية، عدنان الغناز،ط1، دائرة الثقافة،الإمارات العربية المتحدة،2019.

- الرواية التاريخية، جوروج لوكاش، ط2، ترجمة صالح جواد الكاظم،دار الشؤون الثقافية العامة، 1986.

- الرواية والتاريخ -دراسات في تخييل المرجعي، محمد القاضي،ط1، دار المعرفة للنشر، تونس، 2008.

عنوان الحصة التطبيقية الثانية: البعد الإديولوجي في الرواية : ثلاثية نجيب محفوظ أنموذجا.

الإديولوجيا هي كلّ خطاب مشبع برؤية إلى العالم والكلمة « **تعني في أصلها الفرنسي ، علم الأفكار**» . والإديولوجيا عند عبد الله العروي : « **قناع لمصالح فئوية إذا نظرنا إليها في إطار مجتمع آني ، وهي نظرة إلى العالم وإلى الكون إذا نظرنا إليها في إطار التسلسل التاريخي.** »

والإيديولوجيا في الرواية إيديولوجيات ، يمكن تحديد بعضها فثمة:

-إديولوجيا الشخصيات المتخيّلة، التي تُعرض في الرواية في شكل تعارضٍ جذري فيما بينها،إذ تتقابل إديولوجيا البطل أو تأتلف مع إيديولوجيا الشخصيات الأخرى.

- إديولوجيا المؤلف التي قد تلتبس بموقف شخصية ما أو بعدد من الشخصيات، وإن كانت إديولوجيا المؤلف تتوارى خلف قناع الشخصية،تماثلا أو تعارضا.

- إيديولوجيا القارئ: وهي تتحدّد بواسطة التفاعل مع المنظور الإيديولوجي للشخصيات، والمنظور الإديولوجي للمؤلف.

وتبعا للطريقة التي يعمل بها المنظور الإديولوجي، يتمّ صوغ نوعين من الروايات:

- رواية مونولوجية،أحادية الصوت،تهيمن عليها وجهة نظر إيديولوجية واحدة .

- رواية بوليفونية متعدّدة الأصوات و المنظورات الإيديولوجية .

عرف التحليل الإيديولوجي للأدب تطورا ملحوظا في أعمال الروسي ميخائيل باختين[*] الذي قدّم قراءة سوسيولسانية لصراع

[*]- هو واحد من أبرز أعضاء الجمعية العالمية للسيميوطيقا التي تكوّنت في باريس عام 1969. وضمت علماء من كافة أنحاء العالم، من بينهم جوليا كريستيفا وجون كلود كوكيه، من فرنسا، وباختين من روسيا، وعنها تصدر دورية (سيميوطيقا) الشهيرة.

الإديولوجيات في الرواية، ضمّنه نظريته الحوارية(Théorie de Dialogisme).

تنجذب الحوارية الباختينية إلى التعبير عن بؤرة الصراع بين وجهات نظر المتكلّمين داخل الرواية وذلك لأنّ:«المتكلّم في الحقيقة هو منتج للإديولوجيا، وكلماته هي دائما عينة إيديولوجية واللغة الخاصة برواية ما، تقدم دائما وجهة نظر خاصة عن العالم وتنزع إلى دلالة اجتماعية ».

الإديولوجيا في ثلاثية نجيب محفوظ:

ولد نجيب محفوظ في بيت القاضي في حي "سيدنا الحسين يوم 11 ديسمبر 1911، وفي هذا الحي عاش طفولته ،ثمّ انتقل مع عائلته إلى حيّ العباسية سنة 1919، لكنّه ظل يتردّد على الحيّ القديم طيلة حياته ، وفيه كان يقضي سهراته الثقافية مع نوابغ عصره في مقهى "الفيشاوي" الشهير.

بدأ نجيب محفوظ كتابة الرواية التاريخية ما بين 1939- 1944 فنشر "عبث الأقدار" و"رادوبيس" و"كفاح طيبة"، أتبعها برواياته الواقعية في الفترة ما بين 1945-1957، فصدرت له "القاهرة الجديدة "و"خان الخليلي"و"زقاق المدق"و"السراب" و"بداية ونهاية" والثلاثية: (بين القصرين1956 وقصر الشوق 1957والسكرية 1957) ،وواصل كتاباته الرواية في نهاية السبعينيات والثمانينيات فنشر "الحرافيش"(1977)و"ليالي ألف ليلة"(1982) و"أولاد حارتنا" (1986) .

البعد الإيديولوجي في الثلاثية:

ترصد الثلاثية التغييرات التي طالت نُظم الحياة والمعتقدات والأفكار في المجتمع المصري، من خلال تطور تاريخ أسرة أحمد عبد الجواد، بدءا بجيل الآباء ويمثله أحمد عبد الجواد، ثمّ جيل الأبناء ويمثله كلّ من ياسين و فهمي وكمال وعائشة وخديجة ، وأخيرا جيل الأحفاد ويمثله عبد المنعم وأحمد ورضوان .

تعرض شخصيات الثلاثية ، منظورات إديولوجية تتقابل فيما بينها ، كما يشخّص كلّ منظور إديولوجي فئة اجتماعية أو طبقة أو اتجاها سياسيا، و هو ما نوجزه فيما يلي:

- الرجل المرأة/ أو التعارض الإديولوجي بين أحمد عبد الجواد و أمينة:

وهو ما يمكننا تبيّنه من خلال هذا الشاهد :" ولكنّها لم تكن تعرف الطمأنينة الحقّة حتّى يعود الغائب . أجل كان مجرد وجوده بالبيت- صاحيا أو نائما- كفيلا ببث السلام في نفسها، فتحت الأبواب أم أغلقت،اشتعل المصباح أم خمد . وقد خطر لها مرة في العام الأوّل من معاشرته، أن تعلن لونا من الاعتراض المؤدب على سهره المتواصل فما كان منه إلاّ أن أمسك بأذنيها وقال لها بصوته الجهوري في لهجة حازمة:" أنا رجل، الآمر الناهي، لا أقبل على سلوكي أية ملاحظة، وما عليك إلاّ الاعة، فحاذري أن تدفعيني إلى تأديبك "، فتعلمت من هذا الدرس وغيره مما لحق به أن على أنّها تطيق كلّ شيء -حتى معاشرة

العفاريت- إلا أن يحمر لها عين الغضب ، فعليها الطاعة بلا قيد ولا شرط، وقد أطاعت وتفانت في الطاعة حتى كرهت أن تلومه على سهره حتّى في سرها، ووقر في سرها أنّ الرجولة الحقّة والاستبداد والسهر إلى منتصف الليل، صفات متلازمة لجوهر واحد، ثمّ انقلبت مع الأيام تباهي بما يصدر عنه ، سواء ما يسرها أو يحزنها، وظلت على جميع الأحوال الزوجة المحبة المطيعة المستسلمة.

- الآباء/ الأبناء: وتبرز هذه العلاقة من خلال قول كمال أحمد عبد الجواد : " لم نعرفك صديقا كما عرفك الغرباء، ولكن عرفناك حاكما مستبدا شرسا طاغية، لذا سأكره الجهل أكثر من أي شيء في الحياة، فهو المفسد لكلّ شيء حتّى الأبوة المقدّسة، خير منك أب له نصف جهلك، نصف حبّك لأبنائك، وإنّي أعاهد نفسي إذا صرت يوما أبا، أن أكون لأبنائي الصديق قبل أن اكون المربي".

تأخذ علاقة التعارض بين الآباء والأبناء بعدا سياسيا، ومثل ذلك الصراع الدائر بين أحمد عبد الجواد و فهمي، يقول السيد أحمد عبد الجواد: "ولكنني دعوته لأن يحلف على المصحف بألاّ يشترك في أيّ عمل من أعمال الثورة، فبكى، دون أن يجسر على قول لا ...ماذا عساني أن أصنع لا أستطيع أن أحبسه في البيت ولا يسعني أن أراقبه في المدرسة، وأخاف أن يكون تيار هذه الأيام أقوى من أن يقاومه شاب مثله ، ماذا أصنع ؟ أأهدده بالضرب؟ أأضربه؟لكن ما عسى أن يجدي التهديد مع شخص لا يبالي تعريض نفسه للموت" ويسأل الشيخ متولي

السيد أحمد عبد الجواد إن كان فهمي يشارك في المظاهرات فيجيبه قائلا :" كلاّ ولكنّه يوزع المنشورات، ولما ضيّقت عليه زعم أنه يكتفي بالتوزيع على خاصة أصدقائه". لقد كان فهمي سيّد قراراته، وكانت نزعته الوطنية أقوى من قيود أبيه وإكراهاته، وقد كان الذي يخشاه السيّد،إذ لم يلبث فهمي أن سقط شهيدا في واحدة من هذه المظاهرات .

- صراع الأحفاد/ أو تاريخ التحوّلات الإديولوجية في مصر بعد ثورة 1952 :

شهدت "السكرية" تشّكل الوعي الإديولوجي لجيل الأحفاد، فأحمد"ابن خديجة كان مولعا بالفكر الاشتراكي ، في حين تبنى "عبد المنعم" منهج الإخوان المسلمين، وبين هذين المنظورين الإديولوجيين اختلاف بيّن ، يقول أحمد لعبد المنعم مستهزئا بشيخه المنوفي: " وفي الحجرة المواجهة للنافورة رأى شيخا مرسل اللحية حادّ البصر ، يتوسّط جمعا من الشبان يتطلّعون إليه في اهتمام، فتوقف وهو يقول لأخيه،: "الشيخ علي المنوفي صديقك، أخرجت الأرض أثقالها، ينبغي أن أتركك هنا" .

يصف كمال أحفاد الأسرة ، مبديا تعاطفه مع أحمد، متحفّظا على منظور عبد المنعم الإخواني:" ومنذ شهر تقريبا ورضوان وعبد المنعم بين طلبة الحقوق، أما أحمد فقد انتقل إلى السنة النهائية في

الثانوي، وإنّه ليراهم في الطريق رجالا، بخلاف ما يراهم في البيت فليسوا سوى أبناء أخته وأخيه...وكان أحمد يسره، وينتظر منه دائما قولا غريبا ممتعا أو سلوكا لا يقل عنه غرابة، إنّه أقرب الجميع إلى روحه،أما عبد المنعم فماأشبهه به لولا ميله إلى القصر والامتلاء،لذلك فحسب يحبّه، أما يقينه وتعصّبه فما أرذلهما !"

و في نهاية السكرية ، يؤول مصير الأخوين، الاشتراكي والإخواني إلى معتقل الطور معاً، فكانت إزاحتهما دليل على عدم نضوج رؤيتهما إلى العالم وفشل منظورهما الإيديولوجي في مجتمع مثخن بالتناقضات والصراعات.

المصادر والمراجع:

- بين القصرين، نجيب محفوظ، مكتبة مصر، القاهرة،د.ت.

- قصر الشوق، نجيب محفوظ، مكتبة مصر، القاهرة،د.ت.

- السُكرية، نجيب محفوظ، مكتبة مصر، القاهرة،د.ت.

-عبد الله العروي،مفهوم الإديولوجيا،ط8،المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، المغرب، 2012.

- الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، ترجمة محمد برادة، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة،1987 .

- اتجاهات الرواية العربية،شفيع السيد،ط3، دار الفكر العربي،مصر،1996.
-الرواية السياسية،طه وادي،د.ط،الشركة المصرية العالمية للنشر،القاهرة ، 2002.

- بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سيزا أحمد قاسم،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1984.

- في الجهود الروائية، مابين سليم البستاني ونجيب محفوظ،عبد الرحمن ياغي،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان،1981.

- صفحات من مذكرات نجيب محفوظ، رجاء النقاش، د.ط، دار الشروق،مصر ،1997.

- قبل نجيب محفوظ وبعده، دراسات في الرواية العربية،فخري صالح،ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر،2010.

عنوان الحصة التطبيقية الثالثة : الاتجاه النفسي في الرواية العربية- نماذج مختارة

مقدمة

وفّر الأدب مادة ملائمة للتحليل النفسي؛ لأنّه يسهم في معرفة اللاشعور، ويخبر عن نزعات الإنسان وهواجسه وأفكاره وكلامه ، وإن كان النقد النفسي الكلاسيكي يتحرّى سيرة المؤلف الذهنية والنفسية في الأدب ،فإنّ التحليل النفسي اليوم يتجاوز عملية الكشف عن عقد الكُتّاب وعصابهم ، ويسعى إلى دراسة العلاقات المتشابكة بين الأدبي والنفسي، ويستكشف عالم الأنا الذي يتوارى خلف قناع الأدبي ورموزه واستعاراته.

العقدة الأوريستية في الرواية العربية:

صدر لتوفيق الحكيم روايته "عودة الروح" سنة 1933، وكانت أقرب إلى رواية السيرة الذاتية، و قد قدّمت الرواية صورة أوريستية للأمّ المتسلّطة التي تضطهد الأب والابن معا.

تصف "عودة الروح " الأمّ ذات الأصول التركية، وقد تزوّجت ذلك الفلاح المصري المتخلّف ، وتلك هي بؤرة الواقعة النفسية المَرضية التي عاناها "محسن" بطل الرواية.

لطالما كان "محسن" ضحية تمزقات عنيفة وصراعات وخلافات بين أبوين غير متكافئين أخلاقيا واجتماعيا وثقافيا وطبقيا، وذلك ما تطالعنا به بداية الرواية : " وكانت كلمة فلاح التي لفظها أبوه أمس ما زالت تذل نفسه، فثار في نفسه على أبيه، وجعل يستعرض في ذهنه شخصية أبيه ونشأته ، أليس هو فلاحا أيضا قبل كلّ شيء...ما الذي غيره؟ أهي ملابسه وعصاه الثمينة وأحذيته وجورابه وخواتمه

الماسية !!أليس هو التقليد. أليست هي والدته التركية التي أثرت في أبيه باسم التمدّن؟ نعم ولكن بأي حق يزدري الآن الفلاح. ألأن الفلاح فقير؟ وهل الفقر عيب. ؟

لم يكن "محسن" قريبا من أمّه، مثلما هو شأن الأبناء مع أمهاتهم بل كانت بالنسبة إليه الأمّ البيولوجية ليس إلاّ ، يقول السارد شارحا هذه العلاقة غير الطبيعية بين الأمّ وابنها: " وكانت تحس أنّ ما يربطها بابنها إنّما هي صلة تكاد تكون رسمية شرعية لا أكثر.وطالما رأت ذلك منه ومن نفسها. ولا تعلم إن كان السبب افتراقه عنها منذ سنين للالتحاق بمدارس مصر تحت إشراف عمّه حنفي المدرس؟ أو أنّ السبب اختلاف طبائعهما منذ بدأ الغلام يعقل . وطالما رأته يؤثر الوحدة أو اللعب مع رفاقه الصغار على الجلوس إليها...أو أنّ العيب عيبها هي و عيب طبيعتها المنصرفة عن الأمومة وشئونها إلى رغبات أخرى ومطامع ".

في " سجن العمر" تظهر تفصيلات أخرى يمكن أن تفسّر العقدة الأوريستية التي أقيمت عليها رواية عودة الروح .

تبرز العقدة الأوريسيتة في "سجن العمر" وفق الثالوث: ابن يتماهى في أبٍ مضطهدٍ من أمّ متسُلطة؛ وتظهر صورة هذا الوالد المضطهد في أكثر من موضع من السيرة الذاتية، يقول الحكيم : "لم أجد أمامي إلاّ رجلا رزينا وقورا مطيلا التفكر متأملا في الكلام قبل النطق به إلى حدّ

يوحي ببطء الفهم والبديهية،مما أطمع والدتي وأثار فيها شعورا بالتفوق، فتنت تقول لي دائما: أنا أذكى من أبيك، أنا أسرع فهما من أبيك" انت صورة أبي حقا أقرب إلى الانطفاء ، ...ما الذي حدث له بالضبط؟ أهو مجرد الزواج وأعبائه؟ أوهي والدتي بشخصيتها القوية الثائرة العنيفة المسيطرة وجّهت مصير زوجها كما أرادت هي ".

تستحوذ الأمّ على الأب، إلى درجة مسخ شخصيته، فتجعلته يقلع إقلاعا عن المطالعة والكتابة و المطارحات الشعرية والاهتمام بشؤون الفكر والأدب: " على أني وجدت من كتب والدي بعض مؤلفات قيّمة في الأدب العربي،أذكر منها العقد الفريد...أنا الذي اكتشفت وجوده بنفسي وأنا أنقب في تلك الصناديق والصحاحير التي لبثت أعواما طعاما للصراصير...فقد كانت والدتي تضيق بها أشدّ الضيق وتلقي بها في أيّ مكان تلقى فيه المهملات والكراكيب...ذل أنّها منذ تزوجت والدي ورأت فقره وخافت على مستقبلها وأرعبها شبح الفاقة أرعبته معها ،فإذا به ينسى الشعر والأدب والفكر من أجل تدبير مورد إيراد ثابت،وظل طول حياته لا همّ له ولا كلام إلاّ في الأرض والأطيان، السماسرة، والبيت الذي اشترى في الرمل، والبنك والأقساط، والرهنية والفوائد المستحقة."

كان يجب تحقيق الخلاص إذن، من ابن تماهى مع الأب وقاسمه رهاب الاضطهاد ، وما من خلاص سوى أن يكون الحكيم ما لم يستطع الأب أن يكونه :" الرغبة المكبوتة عند الآباء ربما هي التي يورثونها

للأبناء ، ولو أنّ والدي تمكّن من إفراغ كلّ ما في فسه من رغبات وميول أدبية ،لأعفاني أنا وحررني من نزعة الأدب، ولكنت أنا قد انصرفت طليقا إلى شيء آخر".

هذه هي صورة الأمّ كما عاشها الحكيم في لاشعوره، وقد لاتكون هذه الصورة حقيقية بالضرورة ، ولكنّها صورة مصنوعة ومتخلّقة في أعطاف الكتابة السردية. لذلك من الخطأ أن يعمد النقد النفسي إلى تحميلها ما لا تحتمل من تفسيراتٍ وكدها المطابقة بين الواقعة النفسية السردية وسيرة الكاتب .

أما نجيب محفوظ فقد أقام روايته السراب" أيضا على العقدة الأوريستية، و صاغها موصولة بنزعات مَرَضية كابدها بطله " كامل"

كان "كامل" بخلاف"محسن" يحبّ أمه ، وكانت بدورها متعلّقة به تعلّقا شديدا، وهي التي عانت مع زوج عربيد كان يضربها ويعذبها.

حرصت الأمّ على أن ينشأ ابنها بقربها لا يفارقها أبدا، وزرعت فيه رهاب الغيرية والخارج، فنشأ معقدا مهزوز الشخصية متردّدا ضعيفا وخجولا : " إنّني لا أستطيع أن أقول إنّني استكنت إلى تلك الحياة بلا تململ. ولعلي ضقتُ ذرعا بها في أحايين كثيرة . وتطلعتُ إلى الحرية والانطلاق . ولعلّ ضيقي ذاك مضى يزداد بتدرجي في مدارج النمو. وآي ذلك أنّها أقبلت تخوفني أشياء لا حصر لها لتردّني عمّا أتطلّع إليه من حرية وانطلاق، ولتحتفظ بي في حضنها على الدوام .ملأت أذني بقصص العفاريت والأشباح والأرواح والجان والقتلة واللصوص ؟ حتّى

خلتني أسكن عالما حافلا بالشياطين والإرهاب . كلّ ما به من كائنات خليق بالحذر والخوف" .

تتعاور "كامل" رغبة مكبوتة للانعتاق من سلطة هذه الأمّ الحنون كما يصفها، إذ لطالما كان استبدادها يعيق حريتّه ويحرمه من أن يعيش مثل أيّ شخص متوازن له إرادة وقدرة على التفكير والاختيار.

إن رمزية إزاحة الأمّ في "السراب"، هي مجرد ذريعة لتجاوز وضعية العجز النفسي ، وحالات النكوص التي جعلت من كامل شخصا فاقدا للأهلية ، غير قادر على مواجهة الواقع ومغالبة تحدياته.

- المصادر والمراجع:

- عودة الروح، توفيق الحكيم،ط4،مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية ، 1957.

-سجن العمر، توفيق الحكيم،د.ط، مكتبة الآداب المطبعة النموذجية،مصر، د.ت.

- السراب، المؤلفات الكاملة،نجيب محفوظ،ط1، مكتبة لبنان، 1991.

- الأسس النفسة للإبداع الفني، في الشعر خاصة، مصمطفى سويف،دار المعارف، مصر، 1959.

- التحليل النفسي للأدب، جان بيلمان نويل،ترجمة حسن المودن،المجلس الأعلى للثقافة،1997.

- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، محمد خلف الله،مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، مصر،1947.
- علم النفس والأدب- معرفة الإنسان بين بحوث علم النفس وبصيرة الأديب والفنان ، سامي الدروبي،ط2، دار المعارف، مصر ،د.ت.
- عقدة أوديب في الرواية العربية، جوروج طرابيشي،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،لبنان ، 1982.
- التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل،ط4، دار غريب للطباعة، الفجالة القاهرة،د.ت.